فَنُّ الكِتَابَةِ

رَحْمَان النُّـوضَـة

(الصِّيغَة 10)

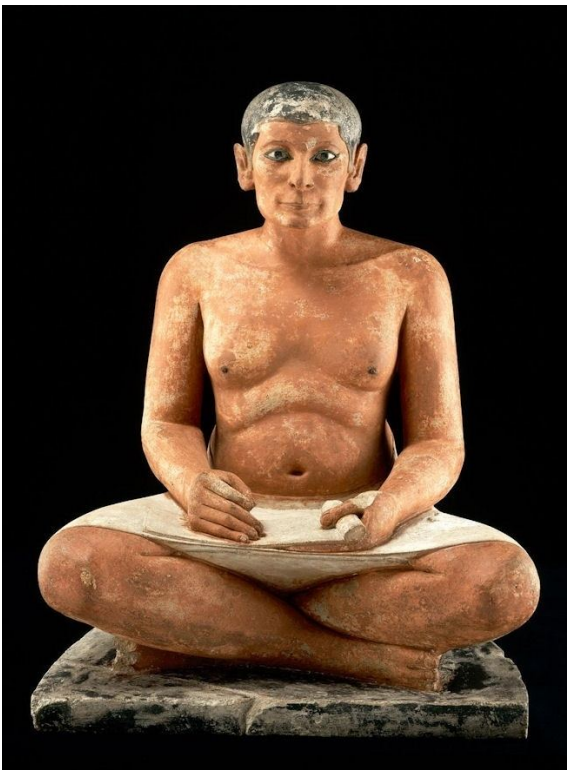

كَـاتب فِـرْعَـوْنِـي جَالِـس.

تَـقْـديـم

بعد نشر كتابي "المُجْتَمَعِي" ("Le Sociétal") باللغة الفرنسية، ثم كتـابي "نقـد الشـعب" باللغـة العربيـة، على مـدونتي الشّخصـية (http://LivresChauds.Wordpress.Com)، سألني بعض الأصدقاء: «مـاذا تفعـل لكي تكتب بشـكل جيّـد، سـواءً باللغـة الفرنسـية، أم بالعربية»؟ فأرسلت إليهم، عـبر الإنـترنت، النص الحـالي (فنّ الكتابة)، الذي كنتُ قد أعددتُه من قبل. وَلِتَلَافي أيّ سُوء تَـفاهم، أُذَكِّرُ أنني لا أتحدّثُ عن فَنّ كتابة الشِّعر، أو الرِّوَايَات، أو الأدب، وإنما أتكلّم، على الخُصـوص، عن الكتابـة في ميـادين السياسـية، والصـحافة، وعِلْم المُجتمع، والتّأْرِيخ، والقانون، والفلسفة، وما شَابَهَهَا.

في الحقيقة ، أنا لا أُتْقِنُ أَيَّة لغة بالقدر الذي أتمنَّاه. لكنـني أَخْـدُمُ كثيرًا النصوص التي أكتبها. وإذا قال أحد المُراقبين إن كتاباتي تحتـوي على نقاط ضُعف، فسوف أقبل انتقاداته بِتِرْحَاب كبير. لأنـني لا أُتْقِـن أيّة لُغة، لَا العربية، ولا الفرنسية، ولا غيرهما.

في الواقـع، في حـوالي عـام 2000، كنتُ قـد كتبتُ هـذا النص الأصـلي لهـذا المقـال (فنّ الكتابة) لتحسـين أسـلوبي الشخصي. وأثنـاء كتابـة كِتَـابي "المُجْتَمَعِي" (Le Sociétal)، كنتُ من وقت لآخـر أُعِيـدُ قـراءة هـذا المقـال (فنّ الكتابة) ، لكي أتـذكّر مـا يجب فعلـه، ومـا يجب تجنّبه.

النص الحـالي (فنّ الكتابة) هـو سِـرٌّ في مهنـة الكتابة. والأفكـار الرئيسـية الموجـودة في هـذا النص قديمة. وفن الكتابـة هـو أقـدم ممـا يمكن لِلْمَـرْء أن يتصوّر. وخلال عـدة قـرون، كـانت أجيـال من المؤلفين تُمَرِّرُ هذا الفَنَّ من جيل إلى جيل، بشكل غير مباشر في معظم الأحيان، خاصة في آسيا، ثم في العالم النَّاطِق بالعربيـة، وفي أوروبا. ونحن نعـرف أن البعض يُوافـق على اقتسـام هـذه "الأسـرار"، بينمـا يريـد آخـرون احْتِكَارَهـا لِوَحْـدِهِم. وإذا نَقَـل إلينـا "مُهَـرِّبٌ" (passeur)ـ تُرَاثًا ثقافيـا، فَيَنْبَغِي علينا أن نَـنْقُل هذا التراث، نحن بدورنا، إلى الأجيـال الـلَّاحِقَة. ومن الأفضـل أن نقتسـم أقصى قـدر ممكن من المنتجـات، مـع أقصى

عـدد ممكن من النـاس، حـتى وإن كـان من الممكن أن يَنْـقَلِب بعضـهم ضِدَّنا.

وفي ما يلي النص المذكور (فَنُّ الكِتَابَة) :

1. كُلُّ نَصٍّ مَكْتُوب يتوجَّه قبل كلّ شيء إلى العَقْل. لِذَا فإن ***"فن الكتابة" هو مسألة مَنْطِق، وأخلاق، وحِسّ سَلِيم***. ويمكن لِكُلّ شخص أن يلاحـظ، في كـل مـا هـو جميـل، أنـه يخفي مَنْطِقًا يَبْهَـرُ النَّاظِرين، أو يُعجبهم.

2. إذا أردتَ أن تشعر بِفَنّ الكتابة، أُكْتُبْ فقرة، ثم أَعْطِهَا لِكـاتب مَاهِر. واطلب من هـذا الكـاتب أن يُحَسِّن تلـك الفقـرة. مـاذا يفعـل هـذا الكـاتب المـاهر؟ يُكَسِّـر الجُمَـل الطويلة. وَيبَسِّـطُ هـذه الجُمل. ويُغَيِّر تـرتيب عِـدَّة أجـزاء من الجُمل. ويُصَـحِّح الأَخطـاء النَّحْوِيَـة، واللُّغَوِيَة. ويحذف مـا هـو غـير ضروري. ويستبدل بضع الكلمـات بـأخرى تكـون ملائمـة بشـكل أفضل. فَنَحْصُـل هكـذا على جُمـل مُسْـتَحَبَّة، أو جميلة. وهـذه الطريقـة تَنْطَبِـق على جميـع اللغـات. والشـيء المُـدهش هـو أن الكاتب الماهر لا يكتفي فقـط بتحسين شكل التعبـير، بـل يُحسّـن أيضاً دقَّةَ التفكـير وَوُضُـوحِه. فـالتعبير المكتـوب ليس مجـرد شكل، بـل هـو أَيضـا الحَامِـل المَلْمُـوس للتـفكير. وتنعكس جـودة التفكـير في جـودة التعبير. معنى ذلك، أن ***من يريد أن يكتب بشكل جيّد، يجبُ عليه أن يُفكير بشكل جيّد***. ومع الأسف، موهبـة التفكير الجيّد ليست مُعْطَاة بالتساوي للجميع. وَلَوْ أننـا نعـرف أنـه بإمكـان أي شـخص أن يكتسـب فنّ التـفكير، من خلال الدراسات، والتَدَارِيب.

3. قبل أن تُصبح قادرا على الكتابة، يلزمك أن تـقرأ كثيرًا. وكـل شخص لا يقرأ التراث الثقافي للبشرية جمعـاء، لا يقـدر على أن يكـون مُؤَهَّلًا لِإِثْرَاءِ هذا التراث بِمُساهماته المُبْدِعَة.

4. في مشروعك لِكِتَابـة كِتَـاب، تَجَنَّـبْ الحـديث عن أمـور محليـة أو ظَرْفِيَّة، لأن ***القـارئ العـالمي*** قـد لا يفهمهـا، أو قـد لا يهتمّ بها. ولكن إذا لم تتحـدث عن أشـياء ملموسـة، وهي بالتَّالِي محليـة، فقـد يصـبح خطابك غامضًا، أو نظريًا. القضية تتوقَّف على الكيفية التي تتحـدث بهـا

عن هذه الأمور. إذا كنتَ تتحدث عن قضايا محلية، أو ظَرْفِيَّة، بطريقة تُثِير اهتمام القارئ العالمي، فستصبح هذه القضايا مُثيرة للاهتمام. لأن ***ما هو كَوْنِي يختفي في ما هو مَحَلِّي، أو في ما يظهر أنه غير ذي أهمية.***

5. في النَصِّ الذي تَكْتُبُهُ، حَاوِل أن تحذف كل ما هو غير ضروري. ***احتفظ فقط بالنقاط التي تحتوي على هذا التوتّر الخِصْب، الذي يُقَدِّم تساؤلات، أو يُعبّر عن القلق، أو يُثير الإلهام، أو يطرح النقد، أو يقترح البحث، أو يدعو إلى المُراجعة.*** فَضِّلْ العبارات التي تفتح آفاقًا جديدة للتحليل، أو للمعرفة، أو للتجربة الشخصية، أو الجماعية.

6. لماذا تَكْتُبُ بطريقة مُكَثَّفَة، أو مُعَقَّدَة؟ لا يُدرك عادةً الكاتب أن تَعابيره ثَقِيلَة، إلَّا حينما يجد تعابير بديلة تكون خفيفة، أو رشيقة. ***ووضوح النص ضروري. يجب أن تكون الكلمات بسيطة، والجُمل واضحة. وكل نصّ غير مفهوم يفقد مُبَرِّر وجوده.*** وأفضل الجُمل هي تلك التي تكون قصيرة وواضحة. ينبغي تجنّب الجُمل التي تحتوي على كثير من الأسماء أو المصادر (adverbes)ـ ***وعندما يكون الاختيار ممكنا، فَضِّل الأفعال على الأسماء.*** لأن القُراء يفهمون الأفعال بسهولة أكبر، مُقارنةً مع الأسماء. وكلّما كانت الأسماء الواردة في جملة كثيرةً، تُصبح هذه الجملة غير مفهومة. بينما الجملة التي تهيمن عليها الأفعال، غالبا ما تكون أسهل في الفهم.

7. غَالِبًا مَا تكون الجُمل الطويلة مُرْبِكَة. ***وكُلَّمَا كانت الجُمل طويلة، كلما كان فهمها صعبًا.*** وعندما يصل القارئ إلى نهاية جُملة طويلة، يكون قد نَسِيَ بداية هذه الجُملة. فلا يستطيع القارئ أن يَدْمَجَ بين نهاية هذه الجملة الطويلة وبدايتها. وبالتالي، فالاحتمال الأكبر هو أن القارئ العالمي لا يفهم الجُمل الطويلة. ضَعْ مَا يكفي من علامات "الفَوَاصِل" [،]، و"النِقَاط" [.]، في الجُمل، وفي النَصِّ. وهذه "الفَوَاصِل و"النِقَاط" تُمكّن القارئ من التَنَفُّس بشكل مُريح. وعلامات "التنقيط" ضرورية لِكَي يَدْمَجَ ويَفْهَمَ القارئُ المُعْطَيَات التي يقرأها.

8. ***يتكـوّن التفكـير من عَنَاصِـر أَوَّلِيـة (élémentaires). والعُنصر الأوّلي الذي نبني به الأفكار هو الجُمْلَة (phrase) ـ والفَقْرَة (الموجودة في نَصّ) هي فكرة شبه مُستقلة. وكل فكرة واضحة يلزم أن نقدر على التعبير عنها بواحدة أو أكثر من الجُمَل القَصِيرة.*** والجُمَلُ التي تكون طَويلة، أو مُعَقَّدَة، تخفي في معظم الحالات عدّة أفكار مُتَدَاخِلَة، أو مُشَوَّشَة، أو غير مَخْدُومَة بما فيه الكفاية. فَيَنْبَغِي آنَئِذٍ أن نُوَضِّحَها، وأن نُقَسِّمَهَا.

9. ***لِكَي نكتب بوضوح، يُستحسن أن نُفَكِّر بِواسطة سلسلة من الجُمل الصغيرة، والمُستقلة نِسْبِيًّا عن بعضها البعض.*** في كل مرة، لِنُفَكِّر بواسطة فكرة أَوَّلِيَّة (élémentaire)، أي جُملة صغيرة. لِنَكْتُب هذه الجُملة. ثم نفكّر في الجُملة القصيرة التَّالية. فَنَكْتُبُهَا. ثم نَفْصِل فيما بين كلّ جُمْلَتَين صَغيرتين مُستقلتين مُتَتَالِيَّتَين بواسطة "نُقْطَة" (un point)ـ لِنُكَرِّر هذه العملية كُلَّما تتطلب الأمر ذلك. وَسَنَحْصُل بالتّالي على سلسلة من الجمل القصيرة والواضحة. على خِلَاف ذلك، إذا نحن شَرَعْنَا في الكتابة، ثم أخذنا نُفَكِّرُ في ما ينبغي كتابته، وفي نفس الوقت نَكْتُب ما يظهر في ذِهْنِنَا من أفكار أو تَعَابير، أثناء الكتابة، سَنَحْصُل هكذا على جُمل طويلة، مُتشابكة، فَوْضَوِيَة، وغير واضحة. وهذا هو ما يجب تجنّبه.

10. إذا أراد كاتبٌ التعبير عن العديد من الأفكار في كل جملة، فإن النتيجة هي أن القارئ لَا يفهم أيَّة واحدة من بين هذه الأفكار.

11. ***ما هو واضح أو مفهوم لدى الكاتب، ليس بالضرورة واضحا أو مفهوما لدى القارئ.*** يمكن لِعدَّة قُرَّاء مُنفصلين أن يَفهمُوا نفس النَصّ بعدة طُرق مختلفة. والتكوينات الثقافية التي يحملها كل قارئ هي التي تُحَدِّدُ سِعَةَ ما يمكن أن يفهمه هذا القارئ. وإذا كان موضوعُ نَصٍّ مُحدّد مُعقداً، وإذا كان، بالإضافة إلى ذلك، تحرير ذلك النَصّ غير مَخْدُوم بشكل كَاف، سَيُصْبِح فهم القارئ لِذلك النَصّ صعباً، أو غير مُؤَكَّد، أو غير مُمكن.

12. لا يلجأُ الكاتب ***النَّزيه*** إلى إخفاء غُموض أفكاره بواسطة تَعْبيرَات مُعقّدة، إلى درجة أن ما يكتُبه يُصبح غير مفهوم. وبقدر مَا تكون أفكار الكاتب واضحة، بقدر ما تكون التَعْبيرَات التي يكتبها مفهومة. والنَصّ الذي يكون غامضا، حتى ولو كان مُشْبَعًا بتِقْنِيَّات البَلَاغَة أو الزَّخْرَفَة، فإنه يخفي أفكارًا مُبْهَمَة، أو مشكوكًا فيها، أو غير دقيقة، أو خاطئة. ***وإذا اعتبر عدد هَامّ من القراء أن نصًّا مُحَدَّدًا غَامِض، إلى درجة أنه أصبح غير مفهوم، فإن ذلك يعني، في غَالِبِيَة الحالات، أن كَاتِبَ هذا النص لا يُتْقِنُ الأفكار التي يريد التعبير عنها.*** قد يعتقد مُؤَلِّفٌ أنه يتوفّر على أفكار مُهمّة، ويريد تَبْلِيغَها. ولكن إذا كان هذا الكاتب غير قادر على توضيح أفكاره، أو تَدْقِيقِها، فإننا سنصبح في وضعية مُمِلَّة. وإذا زَعَمَ شخصٌ أنه يمتلك فكرة جيّدة، وإذا عجز هذا الشخص عن التعبير عن هذه الفكرة بوضوح، فكأنه لا يمتلك أيّة فكرة. قد تكون فكرة مُعيّنة ممتازة، ولكن إذا عبّر عنها صاحبها بشكل سَيِّئ، فلن يفهم القُرَّاءُ أنها فكرة ممتازة.

13. إذا كان شكل كل نَصٍّ مُهِمًا، فإن محتواه هو أكثر حَسْمًا. إهْتَمْ على الخُصوص بالاشتغال على تَعْمِيق وتحسين مضمون النَصِّ الذي تُحَرِّره. فَعَلَى خلاف بعض الظنون، لا تأتي قِيمَة نَصٍّ مُحَدَّد من شكله المُزَخْرَف، وإنما تأتي من جَوْدَة مُحْتَوَاه.

14. لكي يُصبح نَصٌّ مُعَيَّن ***عَمَلًا فَنِّيًا*** مُعْتَرَفًا به، يجب أن يكون واضحًا، ومُهمًّا، ومُمْتِعًا في القراءة. يجب أن يُعَلِّمَنَا هذا النَصُّ حقائق جديدة، وأن يُشَوِّقَنَا، وأن يُلْهِمَنَا أحاسيس لطيفة. يجب أن يَكْشِفَ لنا حقائقَ خَفِيَة. يجب أن يُعطِينا رُؤية شُمُولِيَّة وثَاقِبَة لِلْكَوْن. يجب أن يفاجئنا، وأن يُدْهِشَنَا. يجب أن يُثيرَ قضايا عالمية، أو كَوْنِيَة. يجب أن يُغْطِسَنَا في عُمق المشاعر الإنسانية، خاصّةً منها تلك التي تكون مُرْهَفَة، أو مكْتُومَة، أو مَخْفِيَة. يجب أن يكْشِف التناقضات، واللَّاوَعْي، ونِفَاق البَشَر. يجب أن يكْشف الجَشَعَ أينما اخْتَبَأَ. يجب أن يَفْضَح رَدَاءَة السُلُوكِيَات، بالمُقارنة مع الإدِّعَاءَات، أو مع الطُمُوحَات المُعْلَنَة. يجب أن يندّد بالجهل الذي يُخَادِعُ الذَّاتَ ويُعْمِيهَا. ينبغي أن

ينتقد بشكل جذري، مع إعطاء آفاق للتحرّر. يجب أن يكون نَزيهًا، وصادقا، وعَادلًا، ومُتَوَاضِعا، وصَريحا. يجب على الكاتب أن يَعْتَرِف بِمَحْدُوديَة مَعَارِفه، وبِمَدَى اتِّسَاع جهله. يجب أن يُقَرِّبنا النَصُّ المكتوب أكثر مَا يُمكن من واقع الأشياء. يجب على النَصِّ أن يُحَلِّل بعمق الواقع الحَيّ. يجب عليه أن يقول الحقيقة بوضوح، وبدون أي تَحَيُّز. يجب على النص أن يوضّح الوَقَائع المُعقّدة، وأن يُفضِّل استعمال مُفردات بسيطة. ولا يُقبل من النَصّ أن يكون صَعْبَ الفَهْم، أو مُنَفِّرًا أثناء القراءة. ويُطْلَبُ من النَصِّ أن يكون قصيرًا وواضحًا، بدلاً من أن يكون طويلاً، أو مُرْتَبِكًا. ويُسْتَحْسَنُ في النَصِّ أن يَتوفَّر على جُرْعَة جَيِّدَة من السُّخْرِيَة، التي تُثِيرُ الابتسامة، أو حتى الضَّحِك.

15. عندما تَكْتُبُ، حَرِّرْ نفسك من المُعتقدات الوهمية. ولا تسعى إلى مناصرة وُجهات نظر مُنْحَازَة. ولا تُقَيِّد ذكائك بأية أيديولوجية، أو معتقدات قديمة، ولو كانت مُقَدَّسَة. ولا تُخفي الحقيقة. ولَا تتكلّم عَمَّا تَجْهَلُه. ***وَلَا تُصَرِّح أبدًا بشيء لم يسبق لك أن دَرَسْتَهُ، وحَلَّلْتَهُ. إِجْمَع أقصى قدر مُمكن من المُعْطَيات الدّقيقة، وَأَخْضِعْهَا للمُراقبة، وللتحليل، وللنَّقْد المُحَايد. وَرَكِّزْ جُهودك على البحث عن الحقيقة. دَافِعْ فقط عن الحقيقة. لَا تُقَيِّد نفسك بالدِّفَاع عن مصالح مجوعتك العِرْقِيَة، أو الطائفية، أو الوطنية، أو السياسية، أو الاقتصادية، أو الثقافية.*** حَرِّرْ نفسك من "قَبِيلَتِك" الاجتماعية، أو من "عَشِيرَتِك" السياسية، أو من "دَائِرَتِك" الثقافية. تَجَنَّب التَحَيُّز لصالح أيّ طَرَف كان، حتى تُجاه نفسك. تَحَيَّزْ فقط إلى جانب الحقيقة، والعدل، والعُلُوم. ***وكل كاتب يُخَاطِب الجمهور، ولا يعتني بِصِيَانَة حِيَاده الفكري*** (*neutralité intellectuelle*)، ***يصبح مثل تلك "الدُوَارَة"*** (***girouette***)***ـ السَّخِيفَة، التي تُشِير إلى إِتِّجَاه الرِّيح*** (لأن هذه "الدُوَارَة" تُشِير فقط إلى الاتجاه الذي تَفْرِضُه عليها الرِيَاح القوية). حَارِبْ كل المَزَاعِم المُضَلِّلَة، أو الظَّلَامِية. وخُذْ بِعَيْن الاعتبار مصالح جميع الأطراف المُتصارعة. وذَكِّرْ بِآراء الأطراف المُتعارضة. وَافْهَمْ مَوَازِين القِوَى. وَأَدْرِكْ الوَضْع السياسي القَائِم. فَالحَقِيقة سِلاح. يجب أن نَفْهَمها

بـأكبر عُمـق مُمكن. وقـد قـال أَنْطُونْيُـو غْرَامْشِـي: «***وَحْـدَها الحقيقـة ثوريـة***». اِسْتَخْدِم حُرِّيَتَك في التفكير، وفي النـقد، بـأكبر حيوية ممكنة. ***اُصْرُخْ الحقيقةَ، حتى لَوْ كان ذلك سَيُهَيِّجُ خُصومك، أو سَيُغْضِب أصدقائك.*** كـلّ مُتَكَلِّم يَتَجَنَّبُ قـولَ الحقيقـة، يَمُـوت. فَيُصْـبِح مُجَـرَّد «تَفْصِيل غير مُهِم».

16. إذا قَبِلْتَ بـأن تكـون كَاتِبًـا رسـميًا، أو إعلاميـا مـأجورًا، تتلخَّص مِهنته في إنتاج الدعَايَة، أو في مَدْحِ الحَـاكِمِين، أو في مناصـرة السـائدين في المُجتمـع، فَلَا تَنْتَظِـرْ أن يحترمـك المُثَـقَّـفُون، ولَا أن يُقَـدِّرَكَ الشـعب. لأن الجمـاهير لا تحـترم من بَـاعَ ضَمِيره، أو عَقْلَـه، مُقابل المَال.

17. لا يـقدر على إقنـاع القرّاء، أو اسْـتِهْوَائِهم، أو التـأثير عليهم، سِوَى الكُتاب الذين يكتبـون بصـدق ونزاهة. ***والكـاتب الـذي يُصِـرّ على الدفاع عن أطروحات مُتَحَيِّزة، أو خاطئة، إنمـا هـو مُؤَلِّفٌ يَنْتَحِر. فَلَا يبقى ضِمْنَ التُرَاث الثقافي للانسانية، سِوَى تلك الكُتب الـتي تكـون، على الـرغم من قِـدَمِها، صـحيحة إلى حـد مُعَيَّن، ونَاقِـدَة، وغـير مُتَحَيِّزَة، وعادلة، وعَـقْلَانية، ومُفيدة، ومُمْتِعَة في القراءة.***

18. لا يَتَحَمَّلُ القارئ العُمُومِيات، أو التِّكْرَار، أو "الحَشْوَ". وغالبًا مَـا تكـون التفاصـيل غـير الضـرورية مُزْعِجة. ***ولا يستطيع أيّ كـان أن ينتج كتابًا جيدًا إذا لم يَقُم بعمـل دَائِم، وجِدِّي.*** وكـل كِتَـاب لا يـأتي بتوضـيحات ثمينـة حـول قضـايا مُقْلِقَـة، لا يمكنـه أن يَهُمَّ القُـرَّاء. ومن الوَهْم الاعتقاد بإمكانية إنتاج كتاب جيّد بِكلام فـارغ. فَالكِتـاب الجِـدِّي هـو الـذي يقـدّم للقـارئ خُلَاصَـات عمـل طويـل، وعميـق، ومبـني على دراسـات، وتـفكير، وملاحظـات، وتحاليل. خاصّـة إذا كـانت هـذه الخُلاصات تُؤَدِّي إلى توضيح آفاق شَاسِعة.

19. لا تَـتَعَجَّل لِكِتَابة كُتب مُتَعَدِّدة. فمن المُمْكِن أن تكون كـلّ هذه الكتب رَدِيئَة، أو بدون فائدة. خُذْ وقتَك الكَـافِي. فـإذا أنتجتَ خلال حياتك كُلِّها كِتَابًا واحـداً ممتـازًا، سيكون إنجـازك جَيِّدًا، أو مُتَمَيِّزًا، أو حتى استثنائيًّا.

20. يتطلّب عادةً تحرير مَقَال جَيِّد ما يتراوح بين 15 و 30 يومًا من العمل. ويقرأ القُرَّاء هذا المقال خلال قرابة 3 أو 15 دقيقة. ويَحْتَاج الكاتب على الأقل لخمسة سنوات لِكِتَابَة كتاب جَيِّد. بينما يمكن لِقارئ عَادي أن يقرأ هذا الكتاب خلال قرابة خمسة أيام.

21. إذا كُنْتَ عُرْضَةً لِإلهام قَويّ، إلى درجة أنك تَكتبُ بسهولة، وبشكل تِلقائي تقريبًا، وإذا كان الأَشخاص الذين يقرأون مَخْطُوطَة كتابَتِكَ يُطَالِبُون بِنشرها، آنئذ يحقّ لك التفكير في إمكانية نشر ما كَتبتَه. وإلَّا، فسيكون من الأفضل التخلِّي عن فكرة النّشر. لأن إلهاماتك، أو كتاباتك، لم تَنْضُج بعدُ بِمَا فيه الكِفَايَة.

22. لا تَكْتَفِي بِكتابة انطباعاتك. لأن الانطباعات غالبًا ما تكون سطحيّة، أو قليلة المَنْفَعَة. أُخْرُجْ من وِعَاء "الأَنَا". فَضِّلْ تحليل الظَّوَاهِر (المُجتمعية، أو الطبيعية، أو التاريخية، أو العالمية، إلى آخره). حَاول أن تَفْهَم القوانين التي تَحْكُمُهَا. لأن فهم الظَوَاهِر المُجتمعية يُثِيرُ مُتْعَة سَارَّة. وبالإضافة إلى ذلك، يُثَقِّفُنَا فَهمُ الظواهرِ المُجتمعيةِ، ويسمح لنا بتحسين الحياة المُشتركة في المُجتمع.

23. عندما تَكتب، حاول أن تُناقش جميع المواضيع التي صَادَفْتَهَا أثناء بحثك. قُمْ بِبِنَاء رُؤية شُمُولِيَة. أَعْطِ نظرة عن الحياة، وعن حَرَكِيَتِها (أو عن دينَامِيَتِها)، وعن تناقضاتها. أَحْكِي قِصَصًا، أَبْهِرْ القُرّاء، أَدْهِشْهُم. *قُلْ مَا هُو مُهِمٌّ في بضع كلمات. إِجْعَلْ شخصيات مُختلفة تُعَبِّر عن آرائها، وعن مُعتقداتها المُتَفَاوِتَة. أَعْرِضْ وُجُهَات النَظَر المُختلفة، دون إِغْفَال عَرْض وُجُهات النَّظَر المُعَاكِسَة. قَارِنْ بين الأطروحات. كُن مفيدا لجميع الطبقات الاجتماعية. فَضِّلْ أن تكون لَاذعًا، بدلًا من أن تكون لَيِّنًا، أو ضَبَابِيًا. تَقَبَّلْ أن تَظهر غريب الأطوار، بدلا من أن تظهر عاديا.* يجب أن يجد القارئ في كتاباتك الغرائز، والشُّكُوك، والمشاعر، والمُيُول، أو الانطباعات التي أحسّ بها القارئ أثناء حياته. *ولكن لا تُجَامِل القارئ. لا تحاول إرضاءه على حساب المَوضُوعية، أو الحقيقة. إِنْشَغِلْ فقط بِالوُصُول إلى حقيقة الأشياء. فَضِّلْ جَوْدَة المُحتوى على إرضاء القراء.*

24. يُـتْـقِـنُ الكَـاتبُ البـارعُ التفاصيلَ. ويكتـفي عُمومًا بِالتَـلْمِيح إليهـا، بشكل عَـابِر، دون أن يُـثْـقِـلَ القـارئ بعبء فَـحْـصِ الكثير من هذه التفاصيل.

25. لا تَـتَجَنَّبْ ***المُحرّمـات*** (tabous)، على عكس ذلـك، من المُفيـد أن نَـكتشفها، وأن نُـشَرِّحَهَا، وأن نُحَلِّـلَها. بَـل يتطلّب تـقدّمنا المُجتمعي المُشترك توضيح هذه المُحرّمات، أو نقـدها.

26. اِسْتَخْدِم سِحْرَ الكلمات. يُمكن لِبعضة كلمات مُختارة بشكل جيِّد أن تُحْدِثَ في وعي القارئ صُورًا ذهنيـة، وذكريـات، ومشـاهد حَيَّة، وتوضيحات، وتـفكير منطقي.

27. اُكْتُبْ بِلُغة سَليمة، وبطريقة قريبة من اللغـة المَحْكِيَّة، أو من الأسلوب الشَّائِع الذي يستخدمه الشعب. لأن هـذا الأسـلوب غالبـاً مـا يكـون بسـيطاً، ومُرَكَّزاً، ومُكثَّـفاً، وتصـويرياً. لكن دون أن تُصـبح عبـداً لِهذا الأسلوب، ودون أن تَـفْـقِد عُمق التَّفكير، أو العقلانية. إِبْـقَ خَـفيفًا، ورَشِيقًا، ومُنْعِشًا. تَجَنَّب التعبيرات الثَّـقِيلة، أو الصّعبة الفهم. أَزِلْ بِلَا شفقة العبارات التَّافِهَة، أو التي لا تأتي بِشيء جديد، أو مُفِيد.

28. الكِتَـاب الجَيّـد يُثـير فُضُـول القُـراء. ويُطْلِـق مُناقشـات، أو يُحدِث جِدَالات. وقد يُلْهِم حتى برامج لَدَى فاعلين مُختلفين.

29. الكِتـاب الجيّـد ليس مقـالاً "صُـحُفِيًّا" طَـويلاً حـول الشّـؤون الجارية. يمكنـه أن يتنـاول موضـوعات سـاخنة، مـأخوذة من الوقـائع القائمة، لكن مع التّركيز على الجوانب أو الظَّواهر التي لا تَشِيخ.

30. ***يجب أن يكـون محتـوى النص الـذي كَتَبْـتَه مَخْـدُومًا بِعِنَايَة.*** وكلما أَعَدْتَ قراءة النص الذي كَتبتَـه، أو راجعتَ أيـة فقـرة من بين فقراتـه، يمكنـك، من وقت لآخـر، أن تكتشـف بعض التَحسـينات المُلائمة. ليس فقط في شكل التعبير، بل أيضًا في الدِّقَـة، أو في وُضـوح التـفكير. يُمكن للقـارئ أن يقـول: «لَـدَيَّ رأي مخـالف لِـرَأي المؤلف»، ***لكن يجب على جَـوْدَةِ عملك أَلَّا تُـتِيح للقارئ الفرصـةَ لِكَي يقـول إن كِتَابك «سَطْحي»، أو «خَاطئ».***

31. تَجَـرَّأ على الـدفاع عن أفكـار جديـدة، سَـخِيَة، أخلاقيـة، تقدمية، ثوريـة، غريبـة، أو مُمتـعة. وعندما يكون ذلك مُمكنا، فَـضِّل الفُكاهة على العمل الصَّارِم، أو المُمِلّ.

32. ***كلّ كَاتِب يَغُشُّ، يَفْقِدُ مُستقبله.*** وكلّ مُفَكّر يَخْدَعُ، كأنّه يَنْتَحر. حيث يُصبح تَافِهًا في محيط من الرداءة.

33. ***لَا يتظاهر الكاتب النَّزِيه بِكونه يَكتب انطلاقًا من عَدَم. بل يذكر الكاتب الصّادق المَصادر التي سبق له أن استفاد منها. ولا يَنْتَحِلُ (plagiat)ـ أفكارًا، أو مَقاطعَ من كُتَّاب آخرين.*** ولا يُلَمِّحُ الكاتب النَّزِيه إلى أنه، هو وحده، الذي اخترع كل الأفكار التي عرضها في النَصِّ الذي كَتَبَهُ. بل يجب على الكاتب النَّزِيه أن يدرس التُرَاث الثقافي العالمي، وأن يعترف أنه يستعمل هذا التراث، وأنه يُطوِّره، ويُوَاصِلُه، ويُثْريه، من خلال مساهماته المتواضعة. ولَا تَنْسَ أن الأخلاق وَحْدَهَا تُشَرِّفُ الشخص. بينما الغِشّ، أو الانتحال، أو الأنانية، أو الانتهازية، هي من علامات التَخَلُّف، أو الغباء.

34. أثناء الكتابة، انتبه إلى أسلوب التأليف. وتَجَنَّبْ أن تكون مُتحمّسا، أو مُتعصّبا، أو مُتوتّرا. فَضِّلْ أن تكون مُسْتَرْخِيًا، ومُحَايِداً (neutre)،وحتى فُكَاهِيًا. ومن المهم الحفاظ على هذا السُّلُوك المُسْتَرْخ، والذي ينظر إلى الأمور بِسُخرية. ويتطلب الأمر الكثير من الاِرْتِيَاح، أو المُرُونَة، أو الدَعَابَة، لكي تَقدر على السَّخَر من الأمور الأكثر إيلَامًا، أو صُعوبةً، أو تعقيدا، أو طُموحاً. وإذا كنتَ تنتقد المُجتمع بطريقة مَرِحَة، أو لَاذعة، فمن المُرَجَّح أن غالبية الناس سوف يُصَفِّقُون لك، وأن أقلية سَتُلْقِي باللَّوْم عليك. وتُشِير الانتقادات بالضرورة إلى مسار مُعَيَّن للتقدّم. وغالباً ما يكون من غير الضروري شرح كل الأشياء التي يتعيّن القيام بها.

35. أفضل طريقة لإدانة مُمَارَسَات غير شريفة، أو إجرامية، هي التعريف بها، بطريقة موضوعية، ووصفها بوضوح، دون الحاجة إلى تَصْنِيفِهَا، أو الحكم عليها، بعبارات الاتهام، أو الإهانة.

36. إذا كان نَصٌّ لا يُحَلِّلُ ظَوَاهِرَ، أو إذا كان لَا ينتقدُ بطريقة صريحة، لَا أطروحةً، ولَا أخلاقًا، ولَا أيّ شخص، فمن المُحْتَمَل أن لَا يقدر هذا النَصُّ على تعليمنا أيَّ شيء.

37. عندما تريد نقد شخص، أو مجموعة، أو مؤسّسة، أو حزب، أو شعب، أو دولة، إلى آخره، يكون من الأفضل أن تأخذ كل الوقت اللَّازم لِكِتَابة النَصّ الخاص بهذا النَقد. اِجْعَل نقدك شاملا، وواضحا، ومَبْنِيًّا، إلى درجة أن لَا أحد يقدر على مُعَاكَسَة هذا النّقد. كما يجب عليك أن تتخيّل جميع الاعتراضات التي قد تخطر على بال القارئ، وأن تُجيب على هذه الاعتراضات المُحتملة، قبل أن يُعَبِّر عنها القارئ.

38. أثناء كتابة نقدك، لَا تُقَلِّلْ من شأن خصومك، ولَا تَشْتُمْهُم، ولَا تحتقرهم. ولكي يكون نقدٌ مُعيّن مفيداً، يجب ألَّا يُركِّزَ في تحامله على أشخاص مُحَدَّدين. ولكن ينبغي على هذا النقد أن يُحلِّل أفكارًا، أو أن يَشْجُب ممارسات غير مُرْضِيّة، أو غير نزيهة. حاول أن تبقى موضوعيًا، دون تقديم تنازلات غير مبررة في انتقاداتك. انتقد بالقدر الذي تريد، ولكن بدون تَحَيُّز، وبدون إذلال، وبدون إهانة، وبدون كراهية. لأن ***الهدف هو تَقْوِيم الأشخاص المُخْطِئِين، وليس هو سَحْقُهُم.***

39. يجب أن يَسُودَ «الحِسُّ السَّلِيم» (le bon sens)، أو العقل، أو العدالة، أو الذّكاء، على كلِّ من العادات، والاقتصاد، والتِّقْنِيَة، والسياسة، والأيديولوجية، والفن، وحتى على المُقَدَّسَات.

40. لا تَكْتَفِي بِتَقْسِيم الأمور إلى «صَائِب» أو «خاطئ»، «عَادل» أو «ظَالِم»، «خَيِّر» أو «شِرِّير»، «مقبول» أو «غير المقبول». ***حَاوِل أَن تَدرس الأشياء في نَشْأَتِهَا التاريخية. حَاول أن تُحَلِّلها كَظَوَاهِر مُتَكَرِّرَة، وليس كأحداث استثنائية. لأن الواقع (أو نتيجته المنطقية، أي "الحقيقة") هو دائمًا في تَطَوُّر، ومتناقض، وتاريخي.***

41. كتبتُ كتابي "Le Sociétal" (باللغة الفرنسية) فقط بِسلسلة طويلة من "التَخْمِينَات" (intuitions)، المُستقلة عن بعضها

البعض. (واستعملتُ أيضًا "الحَدَس" لِكتابة كتابي "نَقْد الشَّعْب" باللغة العربية). فقال لي بعض الأصدقاء: «كيف تكتبُ التَخْمِين» (intuition)؟ فَقُلتُ لهم: النَصُّ المثالي لِكتابة "تَخْمِين"، أو "حَدَس"، يتكوّن من ثلاثة أجزاء: أ) مَدْخَل الحَدَس هو مُقَدِّمة سريعة، مكْتُوبَة في جُملة واحدة أو جُملتين. ويُعْلِنُ هذا المدخلُ المسألةَ التي نَوَدُّ مُعالجتها. ويُثِيرُ في نفس الوقت انتباه القارئ أو اهتمامه. ب) يبدأ التفكير على الفَوْر في جِسْم "الحَدَس". وَيُبْرِزُ بِإيجاز الظواهر المُجتمعية، والمُعْطَيات، والتحاليل، والتَسَاؤُلات، والأَطروحات، والأطروحات المُضَادّة، واستنتاجات واضحة وملموسة. ت) نَخْتِمُ عادةً نهايةَ "الحَدَس" بعبارة تُزَعْزِعُ القارئ، وتدفعه إلى التوقُّف من أجل التفكير. كما يُمكن لِهذه الجملة الأخيرة أن تُثِيرَ فجأة جَدَلًا جديدا. ***الهدف هو أن نُفَكِّر بشكل جماعي. والشيء المهم، ليس هو فقط جمال النص، بل هو أيضًا الوضوح، والحقيقة، وَنَزاهة الفِكر.*** ويجب أَلَّا يتجاوز النص الكامل "للحَدَس" المثالي بضعة جُمَل، أو بضعة أسطر.

42. «رَكِّزْ ذِهْنَكَ على البحث عن الحقيقة. اِبْحَثْ عن المعرفة كهدف في حَدِّ ذاته. أَرْفُضْ استبدالَ هذا الهدف بأغراض غير عِلْمِيَة. اِسْتَخْدِمْ حُريتك في التفكير والنقد إلى أقصى درجة ممكنة. قُمْ بِمُجَابَهَة دَائِمَة، وَعَلَنِيَة، للأُطْرُوحات، والتَأْوِيلات العِلمية». (مَقُولَة مُسْتَوْحَاة من كتاب السيد مِيكَائِيلْ لُووِي، [Michael Lowy, Paysages de la vérité, Paris, Édition Anthropos, 1985, p.221]).

43. أُحْرُصْ أكثر ما يمكن على تَحْيِين معارفك في مجالات الثقافة، والاقتصاد، والعلوم، والفلسفة، والتاريخ، والقانون، والتكنولوجيا، والسياسة، المحلية والدولية. اِفْتَرِضْ أن قارئ كِتَابَاتك عَالَمِيٌّ، وليس مَحَلِّيًا.

44. من خلال تجربتي الشخصية في الكتابة، تَأَكَّدْتُ من أن استعمال تكنولوجيات ***الحَاسُوب*** المَنْقُول (أو ما يَقْتَرِبُ منه)، ***يُحَسِّن بقدر كبير السُّرعة، والسُّهُولة، والمَهَارة، والإنتاجية، والدِّقَّة، في عَمَل الكِتَابة.*** ويكفي عمومًا شهر واحد لِتَعَلُّم تِقْنِيَة "الدَكْتِيلْيَة" (

dactylographie)ـ (أو الكتابة على آلة كاتبة، أو على ملامس الحَاسُوب). وتسمح لك هذه "الدَكْتِيلْيَة" بِالكِتابة بعشرة أَصَابِع، بدلًا من الكتابة بأُصْبُعَيْن فقط. كما يكفي أسبوع، أو شهر، لِلتَعَوُّد على وَظَائف "تَطْبِيقَات" الكتابة، مثل "Microsoft Office Word" (وهو مُؤَدًّى عنه)، أو "OpenOffice" (وهو بالمجان)، إلى آخره. ويُوَفِّرُ لك الحاسوب، المُرتبط بالأَنْتِرْنِيت، أدوات مُرَقْمَنَة مُتَعَدِّدة، منها : ***قَوَامِيسَ متنوّعة، وتطبيقات للترجمة الآلِيَة، وموسُوعَات غنية، وكُتُب، ووثائق، ومَراجع، مُرَقْمَنَة، وسريعة الاستعمال.*** ويصبح تطوير النص على شاشة الحَاسوب أسهل بكثير من تطويره على الورق. ومع تقدم الزمان، تتعمّق هذه المَزَايَا، وتَتَوَسَّعُ هذه التحسينات.

45. بعد الانتهاء من تَحْرِير كتابك، لا تَظُنّ أنك ستجد بسهولة دَارًا للنَّشْر. فَلن تَقْبَل أيّ دَار لِلنَّشْر طَبْعَ كتابك إِلَّا إذا كان مَضْمُونه مُمْتَازًا، وبيعه مُؤَكَّدًا. ولَا تَتَخَيَّل أن المواطنين سَيَشْتَرُون الآلَاف من نُسَخ كتابك. لأن العرب والمُسْلِمِين لا يَشْتَرُون الكتب، ولا يقرؤونها، ولا ينخرطون في المكتبات العمومية، حتّى وَلَوْ كانت بالمجان. ولا يَهْتَمُّون بِالثقافة. ولا تَحْلُم بأن «حُقُوق التَأليف» سَتُغَطِّي نفقات إعداد كتابك. واعْلَمْ أن الرَّابِحِين الوحيدين من صناعة الكتاب (في البلدان الإسلامية)، هم أَوَّلًا المُوَزِّعُون، وثانيًا بَائِعُو الكتب. ولا يربح الناشرون إِلَّا القليل، وفي حالات نَادِرَة. بينما الكُتَّاب لا يربحون أيَّ مَرْدُود مَالي. ***فَلَا تَهْتَمْ بالتَّأليف أو الكتابة إِلَّا إذا كان هدفك الوحيد هو نَشْر الثقافة، ولو تطلّب ذلك منك الإِنْفَاق بلا حساب من جيبك.*** أما إذا كان هدفك هو ربح المال، فمن الأحسن لك أن تذهب إلى القطاعات الاقتصادية أو التجارية.

وفي الختام، هل تُحَبِّذُ اقتراح تحويل هذا النَصِّ إلى مشروع "مِيثَاق شَرَف" «لِنَادِي الكُتَّاب النَزِهِين» ؟

رحمان النوضة (حُرِّرَت الصِّيغة الأولى في الدار البيضاء، في سنة 2000),